**عنوان الماستر: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط**

**السداسي: الثاني**

**اسم المادة: تاريخ النظم في الغرب الإسلامي**

**أستاذ المادة: د. بوحسون عبد القادر**

## عنوان المحاضرة: نظام البيعة وولاية العهد بالغرب الإسلامي

### 1.البيعة:

تطلق البيعة على العهد والطاعة، إذ المبايع يعاهد المترشح للخلافة على ان يسلم له مر النظر في أمور المسلمين، وان يطيعه فيما يكلفه به، فهي بذلك عقد يتم بين طرفين: الخليفة أو ولي أمر المسلمين من جهة وجماعة من المسلمين من جهة أخرى، وموضوع هذا العقد يتمثل في الخلافة أو الحكم.

ورغم ان البيعة أنشأتها الأحداث والوقائع التاريخية الإسلامية التي استحدثها نظام الخلافة إلا إننا نجد نصوصا دينية حولها، إذ ورد ذكرها في القرآن الكريم في عدة مواضع كقوله تعالى: " **يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله...**" **(سورة الممتحنة الأية 12)**، وقوله أيضا في سورة الفتح الآية 10: " **إن الذين يبايعونك غنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم**" وقوله عز وجل في سورة الفتح الآية 18: " **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة...**"

وكانت أول بيعة في الإسلام هي بيعة العقبة الأولى 12هـ، ولكن هذه البيعة لها طابع خاص فهي غير لصيقة بنظام الخلافة، بل لها علاقة بنشوء الدولة الإسلامية، وهي عبارة عن تعهد قبائل الأوس والخزرج من أهل يثرب على دخولهم في الدين الإسلامي ومساندة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وبخصوص طريقة البيعة فكانت بالمصافحة او تقبيل اليد، أما الشروط المتفق عليها فكانت نوعان: شروط أصلية وهي: **الإسلام، الحرية، الذكورة،البلوغ، وسلامة العقل والحواس والأعضاء،** وشروط تكميلية مثل: **العدالة، العلم، الرأي، الشجاعة...**، وهناك شروط مختلف فيها مثل شرط **النسب.**

ولمزيد من التفصيل يمكن الرجوع لكتاب عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة وكتاب محمد الخالدي، البيعة في الفكر السياسي الإسلامي، مكتبة الرسالة، الأردن، شركة شهاب، الجزائر، 1989.

محمد أبو زهرة، المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، الدار السعودية، 1981.

**2.ولاية العهد:**

عُرف هذا النظام في أول عهود الإسلام، مثلما فعل أبو بكر في توليته العهد لعمر بن الخطاب من بعده، ومثلما فعل فيما بعد معاوية بن أبي سفيان حينما ولى ابنه يزيد بعهد منه، وتتابع العمل بهذا النظام على طول التاريخ الإسلامي الوسيط وحتى بعده في بعض الدول والممالك، وكانت بعض الدول **توجب** تعيين ولي للعهد حتى لا يخلو زمان من إمام، ومنهم من كان يعين أكثر من ولي للعهد مثلما فعل هارون الرشيد الذي عين ولده الأمين ثم المأمون.

وجميع الدول التي قامت ببلاد المغرب اعتمدت هذا النظام مثلما فعل الأدارسة والرستميون والأغالبة ثم الفاطميون ومن بعدهم المرابطون والموحدون وبقية الدول الأخرى ، وغالبا ما كان الاختيار يقع على أصلح أبناء

الحاكم لا أكبرهم سنا، فمثلا عبد الرحمان الداخل ولى ابنه هشام متجاوزا ابنه الأكبر سليمان، ومثله فعل يوسف بن تاشفين حينما اختار ابنه عليا عوض أخيه تميم الأكبر منه سنا، وكذلك عبد المؤمن بن علي الذي اختار ابنه محمدا لولاية العهد ثم ظهر له سوء سلوكه فولى أبنه الآخر يوسف.

وكانت تسند لولي العهد في حياة والده مناصب هامة حتى يتدرب على شؤون الحكم، وذلك بعد الانتهاء من مرحلة التعليم، ومن تلك المناصب إمارة الأقاليم وقيادة الجيوش.

## عنوان المحاضرة : منصب الوزارة

تعد خطة الوزارة من الخطط السياسية القديمة جدا في التاريخ، حيث نجد لها ذكرا عند أغلب الحضارات القديمة، فعُرفت عند الفراعنة والفرس والهنود واليونانيين وغيرهم، وبمجيء الإسلام نجد العمل بها قائما، حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم يُشاور أصحابه لا سيما أبا بكر الصديق، ولكن رغم ذلك لم يكن لفظ الوزير متداولا بينهم، رغم أننا نجد لفظ الوزير مذكورا في القرآن الكريم، وتجدر الإشارة أن نظام الوزارة لم تتضح قواعده بشكل منظم إلا في العهد العباسي حينما اتخذ أبو العباس السفاح حفص بن سليمان الهمذاني وزيرا له.

وفيما يخص مفهوم لفظ الوزير فغننا نجد اختلافا حول اشتقاق الكلمة، فهناك من رأى بأنها مأخوذة من **الوِزر** وهو الحمل والثقل، فكأنما الوزير يحمل عن السلطان الثقل وأعباء المُلك، وربما هذا المفهوم كان استنادا للآية الكريمة: " ***واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأُشركه في أمري" (سورة طه الآية 29،30).***

وهناك قول ثاني يرى بأنها مأخوذة من **الوَزَر** وهو الحبل الذي يعتصم به، فكأن الوزير هو الشخص الذي يعتمد عليه السلطان ويلتجئ إليه.

وحينما نتحدث عن بلدان الغرب الإسلامي فتذكر المصادر التاريخية أن الغمام إدريس الثاني استعمل نظام الوزارة بالمغرب حيث استوزر عُمير بن مصعب الأزدي وهو الذي اقترح عليه بناء مدينة فاس في الموضع الذي بُنيت فيه، كما نجده حاضرا بقوة في الأندلس لاسيما في عهد الدولة الأموية حيث كانت الخطة الأعلى في الدولة بعد السلطان أو الخليفة، حتى أنه كانت تطلق على الوزير ألقاب عديدة منها: **الرئيس، عماد الدولة، ذو الوزارتين...**، وغالبا ما كان يعين من أشراف القوم، ولابد من توفر بعض المواصفات مثل المقدرة السياسية والعلمية والأدبية....

واهتم المرابطون كذلك بهذه الخطة فكان لهم نوعان من الوزراء: الوزراء العسكريون كالوزير **سير بن أبي بكر** وهو صهر يوسف بن تاشفين، وكان هذا الوزير من أشهر أعلام الدولة وقادتها حيث أبلى بلاء حسنا في معركة الزلاقة الشهيرة سنة 479هـ، وبالإضافة إلى الوزراء العسكريون كان عند المرابطين ووزراء مدنيون غالبا ما كانوا من العلماء والفقهاء والقضاة يتم استوزارهم نظير علمهم وفضلهم ومقدرتهم على التسيير، ومن هؤلاء الوزراء نذكر ابن وهيب الذي استوزره علي بن يوسف بن تاشفين، وعُرف ببروزه في مجال العلوم والأدب، كما أنه في عهد المرابطين حتى حكام الأقاليم كان لهم وزراء محليون. **( لمزيد من التفصيل يُنظر: محمد التازي سعود، نظم الإسلام وتراتيبه الإدارية بالمشرق والمغرب، ص 45).**

وأما عند الموحدين فظهر هذا المنصب بوضوح حينما تولى عبد المؤمن بن علي الحكم وسار على نهجه أبناؤه من بعده الذين اعتمدوا على وزير أو أكثر للقيام بأعباء الدولة والشؤون الهامة تحت نظر الخليفة الموحدي، وغالبا ما كانت تُسند هذه الوظيفة للأمراء مثلما فعل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن الذي عين أخاه عمر وزيرا له، وكذلك المنصور الذي استوزر أخاه أبو عبد الله، كما أننا نجد وزراء من القبائل الكبيرة مثل الوزير أبو حفص عمر الهنتاتي الذي كان وزيرا للمنصور الموحدي، ولكن على العموم يمكننا القول إن الوزارة في عهدي المرابطين ثم الموحدين كانت وزارة تنفيذ، إذ يكتفي فيها الوزير بتنفيذ ما يُؤمر به.

وأما فيما يخص مهام الوزير فلا شك أنها كانت متعددة، وبحسب ظروف الدولة الداخلية والخارجية، وعموما يمكن تلخيص أهم المهام في الإشراف على قتال المعارضين في الداخل وجهاد العدو في الخارج، بالإضافة إلى جل الأعمال المتعلقة بالتنظيم المدني والسياسي والإداري وحتى النظر في المظالم وشكاوي الناس، وتعيين الموظفين من ولاة وقضاة....

وحول مهام الوزير يقول لسان الدين بن الخطيب في كتابه ريحانة الكتاب: "...**والوزير تُعرض عليه شكاياتهم عرضا، والنجاح مرتبط بسداد عقله وصحة نقله...**"، وأما مدة بقاء الوزير في منصبه فكانت مرهونة برضا سيده عليه، وحسب المصادر التاريخية فإن وزراء الأندلس كانوا بمثابة أصدقاء الحاكم ومن مقربيه، إذ يذكر لسان الدين بن الخطيب أنه كان يشارك الحاكم الطعام ويصحبه

أينما حل وارتحل سواء في عمله أو خُلوته، والأمر نفسه يذكره الوزير ابن زمرك حيث قال أنه كان جليس الحاكم في كل الأوقات.

ونظرا لتلك المكانة الرفيعة التي كان بتمتع بها الوزير بالأندلس فقد تعرض الكثير منهم للدسائس والمؤامرات لا سيما من قبل أهل الحاكم.

## عنوان المحاضرة: خطة الحجابة

تعد الحجابة من أهم الوظائف داخل القصر، ومهمة الحاجب كما يدل على ذلك اسمه هو حجب السلطان عن رعيته، والعمل كآذن على الباب، وقد يتعدى هذا العمل إلى أعمال ومهام أخرى كثيرة، وذلك لقربه الدائم والمستمر من الحاكم مما يؤدي في الكثير من الأحيان إلى التأثير عليه بسهولة إلى أن يصبح له سلطة في البلاد.

ولم تذكر لنا الكتب التاريخية أن الخلفاء الراشدون اتخذوا حجابا عن الرعية وإنما كانوا على صلة مباشرة برعيتهم، وإن أول من اتخذ حاجبا هو الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، وكان ذلك بمجرد توليته بعد حادثة الخوارج مع الإمام علي بن أبي طالب، وسار خلفاء بنو أمية على نفس النهج وقلدهم في ذلك خلفاء بني العباس.**(محمد التازي، نظم الإسلام ص43)**.

وعموما كانت وظيفة الحاجب مساعدة الحكام في مهامهم حيث كانوا بمثابة صلة الوصل بين الوزراء والحاكم من جهة و عامة الناس من جهة أخرى، وبهذا كان يدرس حاجيات الناس فيقضي البسيطة ويُخطر السلطان بالبقية .

وحسب ابن خلدون فإن دول الغرب الإسلامي لم تعرف هذه الخطة قبل عهد الموحدين، وذلك لغلبة طابع البداوة حسب رأيه **(ينظر : ابن خلدون، المقدمة، ص 526)**.

ولكن رغم ذلك فإننا نجد ذكرا للحاجب في دولة الأغالبة بتونس، فإبراهيم الثاني مثلا كان له خمسة حجاب اثنين منهم كانا رجلين عسكريين وهما: محمد بن قرهب والحسن بن ناقد، كما كان لإبراهيم الثالث ثلاثة حجاب وهم: أحمد بن محمد بن حمزة ونصر بن الصمصامة وفتح، وكان للأول نفوذ كبير في الدولة.

كما يذكر لنا ابن عذاري المراكشي عدة حجاب عينهم عبيد الله المهدي في سنة 297هـ أي مباشرو بعد تأسيس الدولة الفاطية، وهم: جعفر بن علي، طيب بن إسماعيل، عثمان بن سعيد وجعفر بن عبيد . **(ينظر: ج.ف.ب.هوبكنز، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ص 55).**

ولا ندري السبب الذي دعا ابن خلدون إلى قول ذلك، وربما كان يقصد أن خطة الحجابة قبل الموجدين كانت شرفية فقط ومن أجل توازنات سياسية لا أكثر وليست خطة منظمة ولها قواعدها المتعارف عليها، ولذلك نجد الحاكم قبل عصر الموحدين يعين عددا من الحجاب ولا يكتف بحاجب واحد، وأما في عهد الموحدين فنجد هذا المنصب واضحا وله ضوابطه وأسسه، ففي الأيام الأولى من حكم المهدي بن تومرت اتخذ خادما يدعى أبو محمد واسنار حاجبا له، والأمر نفسه يقال على بقية حكام الموحدين، هذا من جهة ومن جهة أخرى إذا كانت الحجابة قبل الموحدين تعطى لأسر مرموقة فإنها في عهد الموحدين كانت مقتصرة ومختصة بالخدم والعبيد والموالي مع بعد الاستثناءات المحدودة جدا، وربما هذا ما يفسر لنا قول ابن خلدون. **(هوبكنز، ص 56).**

وإذا كان أمر الحاجب غير واضح ومبهم في بلاد المغرب فإننا نجد عكس ذلك بالأندلس حيث نجد منصب الحاجب واضحا، وذلك مرده إلى كون عبد الرحمان الداخل لما استحوذ على حكم الأندلس سارع إلى وضع الركائز الأساسية لدولته، فانشأ عدة مناصب سياسية كان أبرزها منصب الحاجب، ومن أشهر من تقلد هذا المنصب المنصور بن أبي عامر الذي استحوذ على حكم الأندلس، وبعد الدولة الأموية ( وربما سبب تراجع دور الحاجب هو تخوف الحكام من أن يكبر نفوذ الحاجب ويستولي على الحكم مثلما فعل الحاجب المنصور بن أبي عامر) تراجع دور الحاجب ليعود بقوة في عهد بني الأحمر آخر معاقل المسلمين بالأندلس.

## عنوان المحاضرة: خطة الكتابة

بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية وانفتاحها على عدة ثقافات ولغات أصبحت الحاجة ملحة للحكام على اتخاذ كاتب أو كتبة، وكانت هذه الخطة او الوظيفة من الوظائف الهامة والمرموقة في الدولة وركنا أساسيا من أركان الدولة لا تقل أهمية عن وظيفة الوزارة أو الحجابة، وغالبا ما كانت مختصة في بلاد المغرب على أهل الأندلس، وذلك لامتيازهم في هذا المجال حتى قيل: " **لايستعمل بلدي ما وجد أندلسي**" (ينظرالمراكشي كتاب المعجب، المقري، نفح الطيب) ، وهذا راجع لكون الثقافة العربية في الأندلس كانت واسعة الجوانب، فاشتهر كتابها بالدقة في التعبير والسلاسة في الأداء.

وإن أول كاتب وصلنا اسمه بالمغرب يدعى عبد الملك كاتب ادريس الثاني سلطان الدولة الإدريسية، وهو الذي كتب عقد بيع موضع مدينة فاس بين البائع وادريس الثاني (هوبكنز، ص48، ليفي بروفنصال، تأسيس مدينة فاس، باريس 1948).

ولكن وظيفة الكتابة لم تظهر بوضوح حتى عهد المرابطين الذين اهتموا بهذه الخطة واستقدموا كتابا أندلسيين للسبب الذي ذكرناه سابقا، فصدرت عنهم الكثير من الرسائل ذكرا في أمهات الكتب الأندلسية ككتاب الذخيرة في محاسن الجزيرة لابن بسام، ومطمح الأنفس لابن خاقان، ونفح الطيب للمقري وغيرها،

ومن أشهر كتاب المرابطين نذكر ابن عبدون وابن القصيرة وأبو بكر بن القرة وغيرهم.

كما اهتم الموحدون بهذه الوظيفة وأولوها عناية خاصة منذ قيام دولته، ولعل أشهر كتابهم أبو جعفر بن عطية الذي بلغ منزلة كبيرة لدى عبد المؤمن بن علي وعبد الملك بن عياش وابن المرخي وأبو الحسن الإشبيلي وغيرهم.

وكان للموحدين كما تذكر المصادر التاريخية صنفين من الكتاب : كتاب الإنشاء وكتاب الجيش وهو ما اصطلح في بعض المصادر اسم أرباب القلم وأرباب السيف. (هوبكنز، ص52).

وفي مصادر أخرى نجد أربعة أصناف من الكتاب وهي:

ـ **كاتب السر:** أي كاتب السلطان وهو المكلف بكتابة رسائله وخطاباته.

ـ **كاتب المال:** وهو المكلف بتقييد حسابات الدولة ومصاريفها.

ـ **كاتب القاضي.**

ـ **كاتب الجند أو الجيش.**

وكانت تُشترط في الكاتب عدة شروط حتى يعين في هذه الخطة أهمها أن يكون فصيح اللسان جيد الخط عارفا بالآداب كاتما للسر مشاركا في العلوم عارفا بالكتاب والسنة والسير فطنا ذكيا .....، وحقيقة الذي يطلع على نماذج من

رسائل الكُتاب في ذلك العصر يمكن أن يلاحظ بوضوح مدى المستوى الرفيع الذي وصلوا إليه في مجال الكتابة.

ومثال ذلك مقتطف من رسالة للكاتب لسان الدين بن الخطيب الأندلسي المشهور برسائله الصادرة عنه إلى ملوك وسلاطين الدول المزامنة لدولة بني الأحمر والتي كان ابن الخطيب كاتبا لها، كما صدرت عنه رسائل عديدة لعلماء وشيوخ عصره

ومما جاء في رسالته قوله : "**سلام وتسليم ورحمة عليك وممدود من الظل سجسج...وما كان فضلك ليمنعني الكفر أن أشكره، ولا لينسيني الشيطان أن اذكره، فاتخِذُ في البحر سبيا أو أسلك غير الوفاء مذهبا ...**".